

قواعد العلاقات الدلالية وهندستها في النظرية المعجمية

أ. محمد شندول*

- تمهيد: يعلم الكثير من الدارسين لعلوم اللغة أنّ من أنواع العلاقات الدلالية بين المفردات، الترادف والتضاد والاشتراك والتباين...إلخ. وقد تحدث عنها كثير من الدارسين من القدماء والمحدثين¹. وبالتالي لن يكون موضوع مقالنا هذا حديثاً عن هذه الأنواع من العلاقات بل السؤال عن القواعد المولدة لها وعن وجوه نظاميتها من وجهة نظر معجمية. وعليه، فإنّ الإشكالية التي تمثل منطلق عملنا هذا تتحدد في السؤالين التاليين: ما هي قواعد التعلق الدلالي بين مفردات لغة من اللغات الطبيعية التي تولد ما ذكرنا من العلاقات ؟ وبأيّ نظامية تتحقق تلك القواعد؟ ذلك أنّ هذا الجانب من علم الدلالة لم نجد في ما اطلعنا عليه من البحوث الكثيرة الأجوبة الكافية عنه.

إذن، يتناول بحثنا أوجه النظامية في العلاقات الدلالية المعجمية من خلال آلية تكشف عن قواعدها. فلئن كانت أبرز الآليات المتبعة في ذلك هي الاستقراء والمقارنة فإنّ الآلية التي سنتبعها في مقاربتنا هذه هي هندسة هذه العلاقات من خلال ما يسمى المربع الدلالي (*Le Carré sémiotique*) لنستقرئ ما ينطوي عليه هذا المربع من القواعد التي تكشف طرائق تكوّن تلك العلاقات في إطار ما يبرزه من أنواعها.

وننزل بحثنا في إطار نظرية معجمية تبحث عن العلاقات الدلالية من خلال نظام اللغة الداخلي عبر ما يوفره من قواعد بين أنواع الدلائل اللغوية في حدّ ذاتها من حيث هي وحدات معجمية مستقلة، وبين مكونات هذه الدلائل من حيث انشطارها إلى

* جامعة قرطاج - المعهد العالي للغات بتونس



شكل ومضمون. ونشير في هذا الإطار إلى أنّ مقاربتنا المعجمية هذه سنشخص فيها مستوى العلاقة النظري بمثال من مظاهر الاستعمال، لأننا نريد أن نضيف إلى فهم نظامية العلاقات التي يحققها التصور الهندسي النظري لانبائها صور انعكاس هذه العلاقات في الواقع اللغوي، أي في الخطاب.

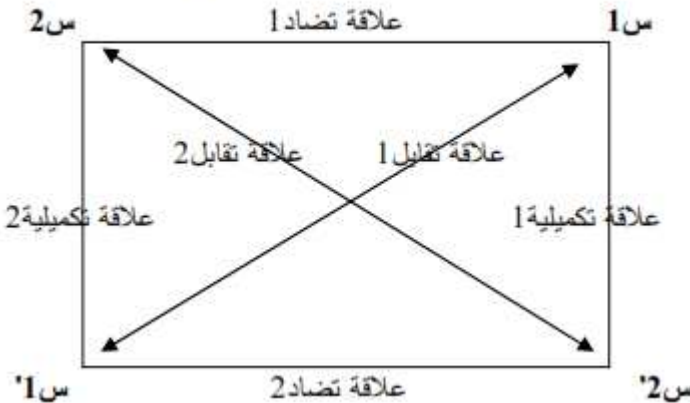
1- لماذا المربع وليس غيره من الأشكال الهندسية ؟ يمكن أن نؤطر العلاقات الدلالية هندسيا بأشكال مختلفة. فلنا النقطة والاستقامة والمثلث والمستطيل والمتعدد الأضلاع... إلخ. لكن النقطة لا تصلح لذلك لأنها لا تقدم إلا علاقة واحدة، وكذلك الاستقامة لا تصلح أيضا لأنها لا تقدم إلا علاقتين. وأيضا الدائرة، لأن ليس لها بداية ولا نهاية، فلا نقف فيها على حدّ لعلاقة من العلاقات ونبقى ندور في حلقة مفرغة. ولا أيضا الزاوية والمستطيل. فالزاوية مفتوحة غير قابلة لأن تكون شكلا قادرا على المحاصرة والتسوير. والمستطيل تكرر للمربع فلا حاجة إليه. أما المربع فإنه يتكون من زوايا مغلقة كل زاوية يمكن أن تكون قاعدة، ومن أركان هي ركائز يتيّسّر الربط بينها. فهو بالتالي أكثر الأشكال الهندسية قدرة على محاصرة الأشياء.

تبعا لما ذكرنا فإنّ المربع اتخذ في الفكر البشري مفهوما يفيد الحصر والانضواء والدخول في فضاء مقيد. فهو في التصور الأرسطي مثلا، شكل لحصر القضايا والاستدلال على صدقها وكذبها، وسمي المربع المنطقي؛ وفي الفكر اللساني الحديث اعتبره جوليان غريماس (Greimas, A. J) أداة كشف عن النسيج العلاقي في النصّ الأدبي بهدف توجيه العلاقات الدلالية على أساس سمات السلب والإيجاب، وسماه من أجل ذلك، المربع الدلالي. بل إنّ دلالة المربع على الحصر والتقييد نجدها اليوم أيضا في أحاديث السياسة، إذ يقال مثلا: "بقيت المفاوضات بين الحكومة والطرف النقابي في مربعها" وذلك حين لا تفضي النقاشات بين الأطراف المتحاورّة إلى نتيجة تتجاوز المستوى الذي انطلقت منه.

مفاد ما ذكرنا أنّ المربع هو شكل هندسي مجرد يمكن تحويله لدى الباحث إلى أداة لمحاصرة قضية من القضايا أو علاقة من العلاقات وإخراجها من دائرة الإطلاق والتعميم. وقد سبق لقريماس، كما أشرنا إلى ذلك آنفاً، أن اتخذ شكلاً لإبراز العلاقات الدلالية التي ترتسم من خلاله هندسياً. ولكون بحثنا يندرج في هذا الإطار فإنّه من الأجدي أن نفيد من جهد قريماس وكذلك من مبادئ الاستدلال الأرسطية فنشير إلى ما يشكله هذا المربع من العلاقات ونستغل ما يعكسه من منهج في الاستدلال لنصل من وراء ذلك إلى معرفة القواعد التي تتحكم في انبناء العلاقات الدلالية بين الوحدات المعجمية إذ أنّ هذه القواعد مما لم يتطرق إليه الباحثون بصورة مباشرة. فكيف جسم قريماس هذا المربع الدلالي؟ وما هي العلاقات الدلالية التي كشف عنها من خلاله؟ وكيف لنا نحن أن نحدد من وراء ذلك قواعد انبنائها؟

2- المربع الدلالي وتمثيل العلاقات: المربع الدلالي هو اصطلاح لساني أطلقه قريماس على "المربع المنطقي" الذي تصوّره أرسطو في استدلاله على صدق القضايا وكذبها كما أشرنا إلى ذلك أعلاه. فقد وجّه قريماس هذا المربع المنطقي توجيهها لسانيا حين أراد تحديد العلاقات الدلالية التي ينبني عليها نسيج النصّ الأدبي. فرسم هذه العلاقات على الشكل التالي:

الرسم (1): المربع الدلالي





يبرز الرسم علاقتين رئيسيتين منطقيتين تتحققان بين الأركان الأربعة، الأولى منهما علاقة التضاد (relation d'opposition) وهي علاقة أفقية تتحقق بالتناظر بين الركنين [س1، س2] وكذلك بين الركنين [س2، س1]. والثانية علاقة التقابل (relation contrastive) وهي علاقة عمودية تتحقق بالتناظر أيضا بين [س1 س1'] وبين [س2، س2'].

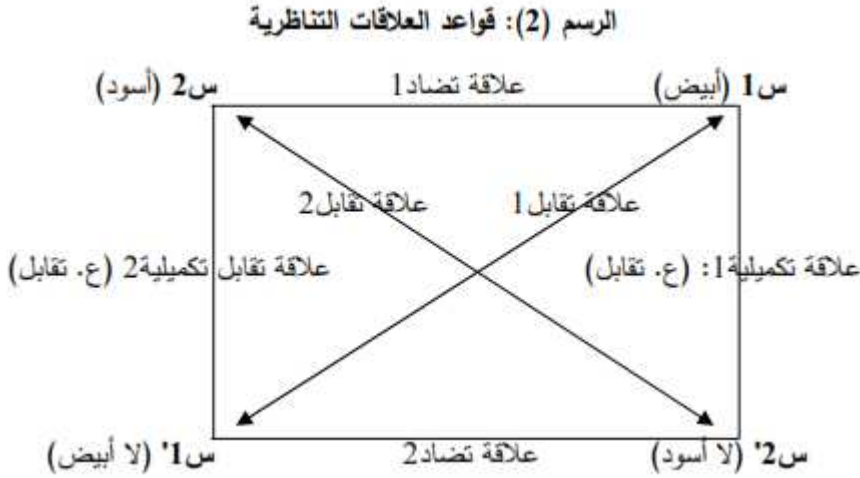
وإلى جانب هاتين العلاقتين الرئيسيتين علاقة ثالثة تكميلية هي العلاقة التي تبرز بالتناظر كذلك بين [س1 وس2'] أو بين [س2 وس1']. وهذه العلاقة اعتبرها قريماس علاقة تقابل أيضا.

فالعلاقات التي يعكسها المربع هي إذن علاقات تناظرية لأنها تتحدّد من خلال قواعد ركنية ثابتة. وهي في عمومها نوعان: علاقة تضاد وعلاقة تقابل.

على أنّ ما تجدر الإشارة إليه أنّ العناصر الركنية [س1، س2، س1'، س2'] هي في الأصل قضايا منطقية، ذلك أنّ تركيبة المربع الأرسطية مبنية في الحقيقة على هذه القضايا². ونتخذها نحن قواعد قياسية ثابتة باعتماد رموزها المجردة التي أسندنا قريماس لأركان المربع. فكيف تتجلى إذن قواعد التناظر العلاقي من خلال هذه الأركان عند البحث عن العلاقات الدلالية بين الوحدات المعجمية؟

3- قواعد العلاقات التناظرية ومظاهرها بين الوحدات المعجمية:

تتجلى العلاقتان التناظريتان: علاقة التضاد وعلاقة التقابل، وهما العلاقتان الظاهرتان اللتان يكشف عنهما المربع، من خلال إرساء أركان المربع بإزاء بعضها بعضا على غرار النموذج التالي للثنائية المعجمية (أبيض، أسود):



يتجلى التناظر العلاقي الذي يجسمه الزوج (أبيض، أسود) على المربع، في علاقتين كما يلي:

3-1 علاقة التضاد (relation d' opposition): يعرف اللسانيون التضاد

في لغة الخطاب بأنه التعارض الكلي بين معنيين. وله في اللغة مظهران: المظهر الأول يقابله المصطلح الفرنسي: opposition. وهذا يكون في الخطاب باستعمال مفردتين مستقلتين مثل (أبيض، أسود) و(حي، ميت) و(طويل، قصير) ... إلخ. فهو إذن علاقة دلالية خارجية تكون بين مفردة وأخرى.

والمظهر الثاني يقابله المصطلح الفرنسي: antonymie، ويكون في الخطاب باستعمال مفردة واحدة تحمل في داخلها معنيين متضادين كما في: "ظن" بمعنى: شك، وتيقن؛ و"البين" بمعنى القرب، والبعد. فهو إذن علاقة دلالية داخلية تكون في صلب المفردة الواحدة لا خارجها.

فالتضاد إذن علاقة بسيطة ذات مظهرين: داخلي وخارجي. والذي يعنينا هو التضاد الخارجي المقابل للمصطلح "opposition".

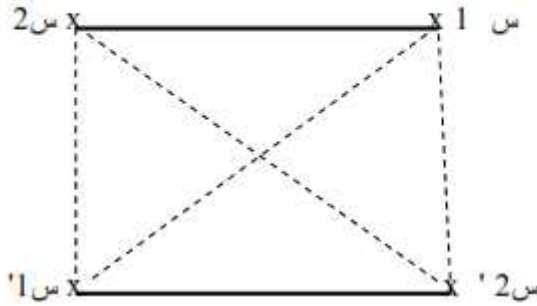


ما هي القواعد الهندسية التي تتأسس عليها هذه العلاقة من خلال المربع الدلالي؟

يلاحظ في الرسم (2) أعلاه أنّ العنصر س1 والعنصر س2 ضدان إيجابيان يوازيهما سلبا العنصران [س1، س2]. وعليه، فإنّ قواعد التضاد بين [س1 س2] و[س1، س2] تتجلى، كما يتبيّن ذلك من المربع، في مظهرين: مظهر التناظر الموقعي، ومظهر التوازي في الاتجاه.

(1) التناظر الموقعي: تتوزع القواعد (س1، س2، س1، س2) موقعا كما يلي:

الرسم (3) : التناظر الموقعي لقواعد التضاد



حيث تتخذ النقطة القاعدية س1 على المستوى الأفقي موقعا متناظرا مع النقطة س2. وكذلك الشأن بين س2' و س1'.

وإذن، فإنّ التضاد هو علاقة تناظر أفقي من حيث التموقع القواعدي. وعليه تكون النتيجة:

- قاعدة 1 (ق1): س1 (أبيض) $\neq$ س2 (أسود) = تضاد إيجابي
- قاعدة 2: س2' (لا أسود) $\neq$ س1' (لا أبيض) = تضاد سلبي

(2) من حيث الاتجاه: يتخذ مسار النقطة س1 على المستوى العمودي اتجاهها موازيا للنقطة س2، ومسار النقطة س2 اتجاهها موازيا للنقطة س1، حيث:

الرسم (4): اتجاه قواعد التضاد



وإذن، فإنّ التضاد هو علاقة تناظر عمودي من حيث الاتجاه. ويؤدي المظهران: التناظر الموقعي والتوازي في الاتجاه، إلى التعارض الكلي بين النقطة (س1، س2) من ناحية، وبين (س2'، س1') من ناحية أخرى. وعليه تكون العلاقة بين كل ثنائيتين علاقة تضاد حقيقي. وإذا كان ذلك كذلك فإنّ الوحدات المعجمية المتضادة مثل (أبيض، أسود)، ومثلها (حي، ميت)... إلخ، لا تجتمع في الخطاب بنفس السياق الدلالي.

على أنّ من اللسانيين من يذكر مظهرا آخر تكميليّا لإبراز علاقة التضاد هذه، يسميه التضاد المتماثل (réciproque)³، وهو الذي يكون بالقراءة العكسية للقاعدة، فعوض القاعدة: أبيض ≠ أسود على سبيل المثال، تذكر القاعدة: أسود ≠ أبيض، وهذا لا يغير من جوهر العلاقة شيئا. فهو استبدال شكلي فحسب.

وقد يكون التضاد حقوليا. فالوحدات المعجمية التي تعدّ من المترادفات هي في علاقة تضاد مع الوحدات التي تعدّ من المختلف. فالوحدات المترادفة من قبيل ذهب ومضى وانصرف وولّى وأعرض والتي يمكن أن تتناوب في الموقع، تتعارض في



حقّلها المعجمي مع وحدات من قبيل فرس ورجل وشجرة وجدار. فهذه الأخيرة لا يمكن أن تتناوب تناوبا دلاليا.

3-2 علاقة التقابل (relation contrastive): التقابل، هندسيا، علاقة عمودية

بين شيئين أحدهما مقابل الآخر، وهو بالتالي على عكس التضاد كما يتجلى ذلك في الرسم (1) أعلاه. ويكشف تشكّله الهندسي عن أنّه يعني عدم اجتماع عنصرين في الموضوع وبقاؤهما متعامدين (يتقاطعان عموديا عند نقطة واحدة) لعدم تقارب تامّ في الدلالة إذ يدلّ كلّ عنصر من الزوجين على جزء واحد فقط من العنصر الآخر حيث أنّ س¹ هي تكرار جزئي للقاعدة س¹. وكذلك الشأن بالنسبة إلى العلاقة بين س² وس². وهو بذلك يختلف عن التضاد من حيث أنّ التضاد علاقة ينتفي فيها كل تكرار للأجزاء أو تشابه بينها⁴.

أمّا علاقته فتعكس في الرسم المذكور من خلال قاعدتين عامتين إحداها أساسية والأخرى تكميلية. فالأساسية هي التي تبرز التقابل في [س¹، س¹] أو [س²، س²]. والتكميلية هي التي تبرزه في [س¹ و س²] أو [س¹ وس²]. وتتجلى هذه العلاقة على مستوى الخطاب في ثنائيات من مفردات بسيطة أو مركبة، نحو: (أبيض، أسود) و(حي، ميت) و(يابس، لين)... إلخ. وتضبط قاعدة ذلك على غرار المثال (أبيض، أسود) التالي:

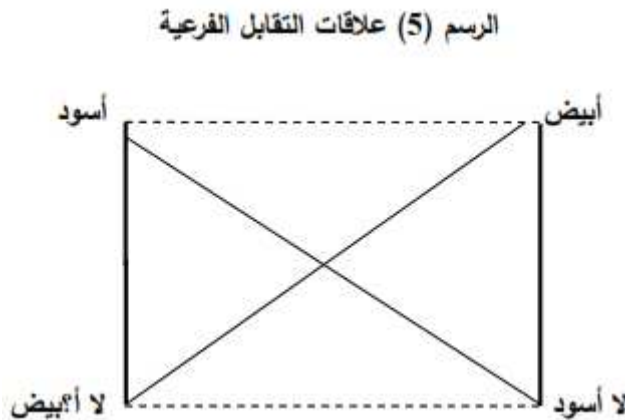
(1) أبيض / لا أبيض.

(2) أسود / لا أسود.

حيث يرمز الخط المائل إلى التقابل.

ونظرا إلى كون التقابل يدلّ على الاشتراك في الجزء، كما أو كيفا، فإنّ من شأن الوحدات المعجمية المتقابلة أن تشهد درجات من القرب والبعد بحسب طبيعة الجزء المشترك وموقعه من سلمية التقاطع. ويمكن تشخيص ذلك بتحريك أضلاع المربع حتى لكان الواحد من تلك الأضلاع صمام (Curseur) لدرجة من تلك

الدرجات. ولتوضيح ذلك نستحضر تقابلات السواد والبياض في اللونين "أبيض" و"أسود" بالصورة التي تقرأ بها في الرسم الموالي:



حيث تقدم قراءة المربع التقابلات التالية:

- أبيض / لا أبيض = وهو البياض ما لم يكن ناصعا؛
- أسود / لا أسود = وهو السواد ما لم يكن حالكا؛
- أسود / لا أبيض = وهو البياض إذا غلب عليه السواد (رمادي)؛
- أبيض/لا أسود = وهو السواد إذا غلب عليه البياض.

كل الخطوط العمودية المرسومة - في الاتجاهين - تمثل فروعا لعلاقة التقابل الرئيسية بما يعني أنّ علاقة التقابل تنقسم إلى علاقة تقابل رئيسية وعلاقات أخرى فرعية، يجسّم ذلك الألوانُ الحاصلة بالخلط بين الأسود والأبيض التي منها ما له تسمية في الخطاب، مثل كلمة رمادي للأبيض إذا غلب عليه السواد، وما ليس له ذلك كالمزيج الذي يكون فيه البياض غالبا على السواد.

ومن الأمثلة أيضا درجات الحياة والموت في التقابل بين الوجدتين "حياة" و"موت"، حيث نجد منها لو رسمناها هندسيا:



- [حي / لا ميت]: وهي درجة لمن هو حي لكنه أقرب إلى الموت، وهو المحتضر.

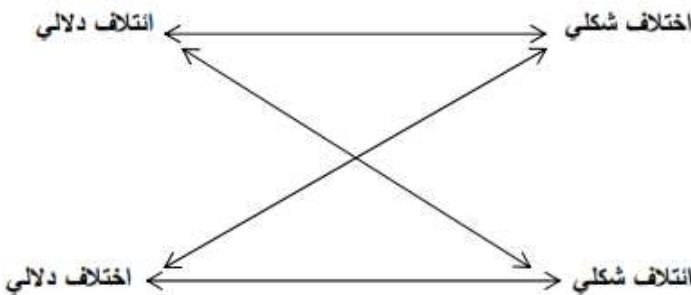
- [ميت / لا حي]: وهي درجة لمن هو في عداد الموتى لكن لم يلفظ بعد أنفاسه وهو الذي في "موت سريري" حسب الاصطلاح الطبي.

ومثال ذلك أيضا درجات البرودة والحرارة في التقابل بين كلمتي "حار" و"بارد" إذ نجد في التعبير عن درجات تقابلهما كلمات مثل دافئ وساخن... إلخ. فعلاقات التقابل هي علاقات متموجة تمثل مجاميع الثنائيات الخطابية المتقابلة مجالا لها.

4- العلاقات المركبة: يسعنا أن نكشف من المربع عن عدد آخر من العلاقات

بين المفردات ليس من خلال التناظر بين دليل لغوي وآخر كما هو الحال بين الكلمتين "أبيض" و"أسود" بل من خلال تفريع الدليل اللغوي إلى وجهيه المجردين: شكل / دلالة وربطهما بسمتي الائتلاف والاختلاف اللتين تتخذان مقياسا للتمييز بين الوحدات المعجمية. فإذا فعلنا ذلك أمكننا رسم نسيج قواعد يمكن من خلاله الكشف عن عدد آخر من العلاقات الدلالية. فإذا فعلنا ذلك ارتسمت القواعد القياسية على النحو التالي:

الرسم (6) : شبكة قواعد الائتلاف والاختلاف





يفضي التأليف بين كل قاعدتين بسيطتين إلى قاعدة مركبة تبرز علاقة أفقية أو عمودية وتفسرها.

4-1 العلاقات الأفقية وقواعدها:

(1) **علاقة الترادف (Synonymie):** تتأى أفقيا من القاعدة المركبة الأولى من المربع، وهي قاعدة:

اختلاف شكلي + ائتلاف دلالي = ترادف

هذه القاعدة تجمع المفردات التي يجوز أن تحل بها مفردة محل أخرى دون أن يتغير المعنى كثيرا، نحو (سيف، عضب) و(ليث، أسد)، و(حائط، جدار)، و(جلسَ قَعَدَ). فالاختلاف بين هذه الوحدات شكلي في عمومته⁵.

(2) **علاقة الاشتراك:** تجمع ما ينضوي من الوحدات المعجمية تحت القاعدة الأفقية المركبة الثانية من المربع وهي:

ائتلاف شكلي + اختلاف دلالي = اشتراك

هذه الوحدات نوعان:

(أ) ما يكون فيها اللفظ واحدا والمعنى مختلفا مع عدم وجود معنى قاعدي جامع. وتسمى اللسانيات الحديثة هذه العلاقة اشتراكا لفظيا (Homonymie). ومن أمثلته الفعل قضى بمعنى: أمر، كما في الآية: "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه"، وبمعنى أعلم كما في: "وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب"، وبمعنى عمل كما في الآية: "ثم أقضوا إلي"، وبمعنى فرغ، إذ يقال للميت: قضى⁶. ومن الأمثلة أيضا الفعل "ضرب". فإنه يقال: ضرب في الأرض، وضربه بجمع يده، وضرب مثلا وضرب أخماسه في أسداسه. فلا يبدو بين معاني الفعل قضى وكذلك بين معاني "ضرب" معنى جامعاً. فكل معنى من المعاني المذكورة هو في ظاهر الأمر مواضع أصلية قائمة بنفسها.

(ب) ما يكون فيها اللفظ واحدا والمعنى مختلفا مع وجود معنى قاعدي جامع تكون المعاني الفرعية المنبثقة عنه معان مجازية. وتسمى اللسانيات الحديثة هذه العلاقة



اشتركا دلاليا (polysémie). ومن أمثلة هذه العلاقة في الاستعمال كلمة "عين"، فإنه يقال: عين الرجل، أي جراحة البصر فيه؛ و"عين الماء" أي النبع؛ وعين المال، أي الدراهم والدنانير؛ وعين الميزان، أي إيزته⁷. فجميع هذه المعاني الفرعية هي معان مجازية تُردّ إلى معنى قاعدي جامع يشملها جميعا هو "خيار الشيء".

ومن الأمثلة الأخرى لما يعدّ مشتركا دلاليا، الكلمات: رأسٌ وعمٌ وظنٌّ. فالرأس هو الجزء الأعلى من الجسم، ويعني أيضا سيد القوم. والعمّ أخو الأب، والجمع الكثير. والظن من الأضداد يدلّ على الشكّ وعلى اليقين⁸.

وعلاقة الاشتراك الدلالي تتبني على المجاز، فتفسر العلاقات المجازية شبكة المداليل الفرعية الناتجة عن تتاسل المدلول الأصلي لوحدة من الوحدات المعجمية. وبالتالي فإنّ علاقة الاشتراك الدلالي تعني التعدد الدلالي الداخلي لوحدة معجمية واحدة وتقتضي إخفاء أحد عنصرَي العلاقة: المنضوي أو المنضوى، لأنّها لن تكون مجازية إلا بعملية الإخفاء هذه وإلا أصبحت علاقة حقيقية، أي قائمة على الحقيقة. فالمجاز يكمن في طبيعة الإحالة ومدى حضور عناصرها.

2-4 العلاقات العمودية وقواعدها:

(1) علاقة الاختلاف (discorde): وهي التي تولدها القاعدة العمودية المركبة الأولى من المربع وهي:

$$\text{اختلاف شكلي} + \text{اختلاف دلالي} = \text{اختلاف}$$

هذه العلاقة تفسّر وجود ما يصطلح عليه في اللغة بـ"المتباعد" وما يصطلح عليه بالمتقارب. فالمتباعد مثل رجل وفرس وسيف ورمح، والمتقارب، مثل: الفعل "مدَحَ"، إذا عدّدت خصالا حميدة لإنسان حيّ والفعل "أَبَنَّ"، إذا عدّدت مآثره إن كان ميتا.

(2) علاقة الأحادية الدلالية (Monosémie): هي علاقة مقابلة لعلاقة الاختلاف الدلالي. وتولدها القاعدة العمودية الثانية:

$$\text{انتلاف دلالي} + \text{انتلاف شكلي} = \text{أحادية دلالية}$$

يتجلى هذا النوع من الانتلاف على مستوى المعجم في المفردات التي لا تؤدي إلا المعاني الحقيقية بحسب ما تفيده من معان ذاتية. ويظهر هذا النوع من الوحدات في المصطلحات العلمية والفنية وذلك في الخطاب الخاص. أما في الخطاب العام فتتجلى في وحدات من قبيل أسماء الأوبئة والأدوية وأسماء النباتات والأشجار. وأبرز ما تتجلى فيه: الضمائر، مثل: أنت ونحن وأنتم؛ وأسماء الإشارة، مثل: هذا وتلك؛ والأسماء الدالة على الزمان، نحو: بعد، وغابة، وأسماء الآلة، مثل: فأس ورفش ومهراس وساطور؛ وأدوات الاستفهام نحو: كيف ومتى.

هذه العلاقة يسميها الشوكاني علاقة الواحد للواحد⁹. وهي من ثم علاقة انعكاسية (Reflexive) لا تؤدي فيها المفردة إلا معناها الذي في نفسها فلا يشاركها في ذلك أي عنصر "لا محققا ولا مقدرا (...) كضميري المخاطب والمتكلم، أو لاحقا كالموصلات"¹⁰.

(3) علاقة الانضواء: (Relation d'inclusion)¹¹: وهي أن يكون الكل محتويا للجزء لكون الجزء من لوازمه أو من العناصر المعبرة عن ماهيته أو المكونة لمجموعه. وتتأتى هذه العلاقة من القاعدة العمودية التكميلية:

$$\text{انتلاف دلالي} \subseteq \text{اختلاف دلالي} = \text{انضواء}$$

حيث تعني العلامة $\subseteq$ احتواء الكل على ما يشترك معه من الأفراد في الجزء. وتطابق هذه القاعدة التقابلية الأرسطية: [عض / ليس كل]، وتجمع الوحدات المعجمية التي تستدعي دلالتها العامة ما يتألف معها جزئيا في حقلها المعجمي كاستدعاء كلمة "مرض" لكلمة "دواء" وكلمة "طبيب". فيتتزل بذلك مفهوم الانضواء في هذا السياق من حيث هو مقولة مفهومية تجمع بين وحدات معجمية تتألف في



المعنى العام الذي يمثل حقلا دلاليا جامعا، وتختلف في المدلول الخاص. فتنضوي الوحدات المختلفة دلاليا ضمن وحدة معجمية تمثل مقولة لحقل يؤلف بينها دلاليا¹². ولعلاقة الانضواء وجه آخر يسمى "علاقة انتماء" (appartenance) وذلك حين ننظر إليها بصورة عكسية. فينتهي بمقتضاها الجزء إلى الكل على غرار:

دواء ⊕ مرض

طبيب ⊕ مرض

لكنّ هذا الوجه هو اتجاهي فقط. فلئن كانت علاقة الانضواء تدفع بالكل لاحتواء الجزء فإنّ علاقة الانتماء هي التي تدفع بالجزء للانضواء في الكل¹³.

(4) **علاقة التنافر (dissonance)**¹⁴: التنافر في مفهومه العلمي الفيزيائي، قوّة بين جسمين تعمل كل منهما على إبعاد الأخرى لعدم انسجام في الطباع أو بسبب عدم التجانس. وفي علم الأصوات التعاملي (phonologie) هو انتفاء التجاذب بين أصوات المفردة بسبب نشاز ناتج عن عدم توافق في الخصائص والكيفيات¹⁵. وهذان المفهومان يمكن اعتمادهما للدلالة على انتفاء اجتماع وحدتين معجميتين في وضع ما من أوضاع عدم انسجامهما في التواجد معا.

استنباعا لذلك يمكن النظر إلى ثنائية [ائتلاف دلالي، اختلاف دلالي] على أنّها قاعدة لا تكشف فقط عن علاقتي الاحتواء والانتماء كما بينا آنفا بل تكشف أيضا عن علاقة التنافر داخل شبكة العلاقات الدلالية. وكذلك الشأن في ثنائية [اختلاف شكلي، ائتلاف شكلي]. فهاتان القاعدتان لا تسمحان بورود وحدات معجمية في نفس النقطة من الخطاب. ومما يذكره اللسانيون من أنواع هذا التنافر، التنافر الدائري والتنافر الرتبي¹⁶:

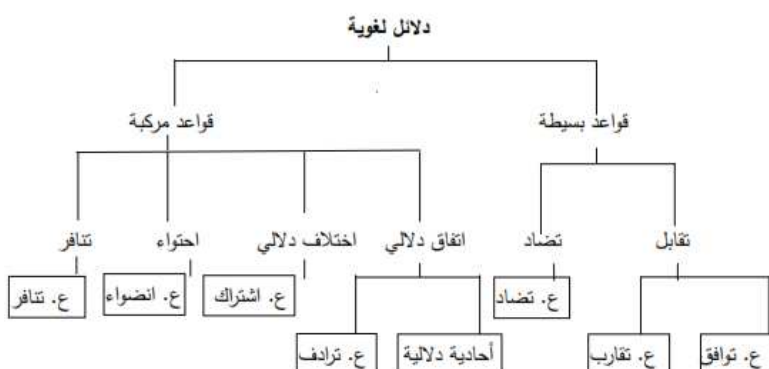
أ) التنافر الدائري: تجسمه الوحدات التي يجمعها سياق دلالي واحد لكنها تتنافر في الوجود. مثال ذلك أيام الأسبوع، فإنّها تأتلف دلاليا في مفهوم كلمة "أسبوع" لكن أحدها ينتفي وجوده بحلول الذي يليه. وكذلك الشأن في حقل الألوان. فلو قلت: "هذا

الشيء أحمر" فإنه لا يمكنك أن تقول فيه، وفي الوقت نفسه: "هذا الشيء أخضر" رغم أن "أحمر" و"أخضر" كلمتان تأتلفان في الدلالة على اللون¹⁷.

ب) التنافر الرتبي: وهو الذي تنعدم فيه إمكانية التقاء الوحدات المعجمية إذا كانت معبرة عن مفهوم واحد فيه تدرج كما هو الحال في الوحدات المعبرة عن الرتب العسكرية أو عن الرتب المهنية من نفس السلك. فلا يمكن مثلا أن يكون عسكري من العسكريين حاملا لرتبتي ملازم وعقيد في الوقت نفسه.

هذه أهم العلاقات التي سمحت لنا حدود هذا المقال باستخراجها. وهي قابلة بتفاعلها، للتولد والتفرع¹⁸. وقد وفر لنا المربع الدلالي بشكله الهندسي المميز وسيلة تبيننا من خلالها القواعد التي توجهها. وهذه القواعد منها ما كان بسيطا ومنها ما كان مركبا. ونبرز في ما يلي رسما جامعا لمظهر التعالق بين هذه القواعد وبين ما ولدته من علاقات:

الرسم (7) : العلاقات (ع) الدلالية وقواعدها



وما يمكن أن يقدمه بيان قواعد توليد العلاقات الدلالية هو الفوائد التالية:

- وصف تولد العلاقات الدلالية وتفسيرها؛
- تقييد العلاقات بين الوحدات المعجمية في إطار دلالي ما يحصرها ويمنعها من الضبابية والانفلات؛



- تفصيل الوحدات المعجمية إلى مجاميع ذات معان جامعة أكثر تخصيصاً
ذلك أنّ حقلاً من الحقول الدلالية يحمل في جوهره علاقة دلالية تعلله؛
- تحليل أقل عدد ممكن من المفردات بأكثر ما يمكن من الوضوح وتبعاً لعلاقة
محددة؛

- إقامة جدل بين الوحدات المعجمية لإبانة أنواع العلاقات الرابطة بينها؛
 - إبانة النسيج العلائقي ورسم صورة لطريقة فهمه والاهتداء إليه.
- وما تجدر ملاحظته هو أنّ مختلف العلاقات، الرئيسية منها والفرعية، مع قابليتها للانضواء في قاعدة من القواعد، هي خاضعة لقانون عامّ جامع للقواعد هو قانون الاشتمال. فعلاقة الانضواء التي تدلّ على ما هو جزء من الكلي، وعلاقة الاشتراك التي تجمع أفراداً متعددين في مفهوم واحد، وعلاقة التقارب التي تقتضي اجتماع ما دلّ على معانٍ متقاربة، وكذلك علاقتا التقابل والتضاد اللتان تجمعان ما يكون من المفردات متعارض الدلالة¹⁹، كل هذه العلاقات تحكم في كل واحدة منها قاعدة ما لكنها تعود جميعاً إلى قانون الاشتمال. فمن خلال هذا القانون تبسط القواعد نفوذها عليها وتفرض عليها احتواء كمّ منظم من المفردات. ثم بقانون الاشتمال تجتمع كل المفردات على اختلاف ما يربط بينها من علاقات، في ما يسمى معجم الجماعة اللغوي فلا تبقى مفردة من المفردات منعزلة عن غيرها.



5- خاتمة: أمكن لنا من خلال المربع الدلالي أن نستقرئ القواعد المولدة للعلاقات الدلالية وأن نتبين عددا من أنواع هذه العلاقات. وهذا مفيد لأنّ على أساس معرفة هذه العلاقات وقواعدها نهتدي إلى الخاصية الدلالية للوحدة المعجمية ونستطيع إدراجها في مفاهيم علائقية وحقول معجمية تساعد على تصنيف مفردات التخاطب في مجاميع من شأنها أن تسهل فهم معجم الجماعة اللغوي وتوفر مدونات موسومة لوضع قاموس مثالي.

وقد كانت مقاربتنا مقارنة وصفية بينا من خلالها القواعد المتحركة في العلاقات الدلالية والبنية النظامية لهذه العلاقات، هذه البنية التي تمثلت على وجه الخصوص في نسيج العلائق المجردة التي تعكس نوع المعنى في المفردة. واتخذنا من أركان المربع الدلالي قواعد قياسية جعلناها أدوات تسوير فكان ذلك سبيلا إلى حصر عدد من العلاقات وتمييز الأساسي منها والفرعي. والخلاصة من ذلك أنّ معالجة بعض قضايا اللغة معالجة هندسية من شأنها أن تثري البحث اللساني وتدخل إليه من القواعد الصلبة ما يمكن به محاصرة المسائل العامة أو المنفلتة. وليس المربع الدلالي إلا مثالا على ذلك. فقد مكنتنا أركانه الأربعة من توفير قواعد قياسية استطعنا من خلالها، ولو إلى حدّ، فهم الطريقة التي تتولد بها العلاقات الدلالية.



المراجع:

(أ) العربية:

- ابن فارس، أحمد: الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1997.
- بدوي، عبد الفتاح: الأضداد، دائرة المعارف الإسلامية (مادة: أضداد)
- الجرجاني (الشريف علي): التعريفات، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، 2004.
- السيوطي (جلال الدين): المزهرة في علوم اللغة وأنواعها (المزهر)، شرح وتعليق محمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت.
- الشوكاني (محمد بن علي): إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق أبو حفص سامي الأثري، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الرياض، 2000، ج1.
- صليبا (جميل): المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، 1982
- كلنتن، هيفاء عبد الرحمان: نظرية الحقول الدلالية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2001.
- معجم المعاني الجامع (معجم إلكتروني)، مادة (نفر).

(ب) الأعجمية:

- Germain (C.): La sémantique fonctionnelle, PUF, Paris 1981.
- Guilbert (L.): La créativité lexicale, Larousse, Paris, 1975.
- Lerot (J): Précis de linguistique générale, Minuit, Paris, 1993
- Lyons (John): Introduction to Theoretical Linguistics, Cambridge University Press, London, 1968.



- _____: Linguistique générale: Introduction à la linguistique théorique , trad: F. Dubois-Charlier et D. Robinson Broché, Larousse, Paris, 1970.
- _____ : Semantics, Cambridge University Press, London, 1977, V2.
- Murphy (Lynne): Lexical Meaning, Cambridge University Press, New York, 2010
- _____: Semantic relations and the lexicon: antonymy, synonymy, and other paradigms,. Cambridge University Press, Cambridge, 2003.
- Pottier (Bernard): la grammaire générative et la linguistique,in: Travaux de linguistique et littérature de l'université de Transbourg, VI, 1, Klincksieck, Paris, 1968.
- _____: Systématique des éléments de relation: étude de morphosyntaxe structurale romane, Klincksieck, Paris 1962.



الهوامش:

¹ ممن تعرض إلى أنواع العلاقات الدلالية من علماء اللغة العربية القدماء أحمد بن فارس (ت 395 هـ/1004 م) في "باب أجناس الكلام في الاتفاق والافتراق" من كتابه "الصاحبي في فقه اللغة (ص ص 152-153)"، ومن علماء الأصول محمد بن علي الشوكاني (ت 1250 هـ /1834 م) في كتابه "إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، (1/115-117)" عند تقسيمه اللفظ إلى مفرد ومركب. أما من تناولها من علماء اللسانيات المعاصرين الغربيين فنجد برنار بوتيتي (Pottier (B.)) في كتابيه "النحو التوليدي واللسانيات" (La grammaire Systématique des (générative et la linguistique, pp.7-25 (éléments de relation)، وغلبار (L. Guilbert) في كتابه "الإبداعية المعجمية (La créativité lexicale, p.120 (Greimas, A. J) ضمن كتابه "الدلالة البنيوية" (La sémantique struturelle)، وجون لاينز (Lyons (J.)) في كتابه "مقدمة في اللسانيات النظرية" (Introduction to Theoretical Linguistics, pp.443-481) وفي الفصل الأخير من كتابه "اللسانيات العامة" (Linguistique générale) الموسوم بـ "البنية الدلالية" Structure (sémantique, pp.339-367)، ولين مورفي (Lynne Murphy) في كتابها "العلاقات الدلالية والمعجم" (Semantic Relations and the Lexicon, pp.133-244) و "الدلالة المعجمية" (Lexical Meaning, pp.108-132).

² القضايا الأرسطية الأربع التي تكون المربع المنطقي هي قضايا تسويرية تتمثل في قضيتين كليتين إحداهما موجبة والأخرى سالبة، هما [كل، ليس كل]، وقضيتين جزئيتين إحداهما موجبة والأخرى سالبة، هما [بعض، ليس بعض].

(³) Lyons: Linguistique générale, p.357.

⁴ ورد في المعجم الفلسفي ما يفيد المفهوم الذي ذكرناه للتقابل إذ جاء فيه: "التقابل علاقة بين شيئين أحدهما مواجه للآخر، أو علاقة بين متحركين يقتربان سوية من نقطة واحدة أو يبتعدان عنها (صليبا: المعجم الفلسفي، 1/318)".

⁵ ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة، ص 152.

⁶ نفسه، ص 152.

⁷ نفسه، ص 152.

⁸ المرجع السابق، ص 152-153؛ السيوطي: المزهري: 369/1.

⁹ الشوكاني: إرشاد الفحول، 1/115.

¹⁰ نفسه، 1/115.

¹¹ الاصطلاح الفرنسي للعلاقة المذكورة هو الاصطلاح الذي ذكره غلبار (ينظر: Guilbert: La créativité lexicale, p.120). والواضح أن علاقة الانضواء علاقة شائكة سميت بتسميات مختلفة تبعا لما يراه كل صاحب تسمية من الدقة في تسميتها، وبذلك تعددت الاصطلاحات المعبرة عنها. من ذلك مثلا مصطلح علاقة تضمن (Relation d' implication)، وهو الاصطلاح الذي اختاره لاينز في كتابه "لسانيات عامة" (Linguistique générale, p. 339)، ومن المصطلحات الأعجمية الأخرى التي لها معنى قريبا من المعنى الذي ذكرنا (347). ومن المصطلحات (relation d'affinité)، وهو مصطلح يدل على العلاقة التي تكون فيها الوحدات المعجمية معبرة عن نوع الصلة بين عناصر معينة كالقربانية الأسرية أو الانتماء الفئوي الاجتماعي أو غير ذلك. وهذا التعدد المصطلحي إنما هو من باب الترادف أو من باب مراعاة فويرقات دقيقة بين مفهوم وآخر.

¹² تختلف وظيفة القاعدة [ائتلاف دلالي، اختلاف دلالي] من حيث هي قاعدة تكميلية، بحسب طبيعة العلاقة بين الوحدات المعجمية التي تجمعها. فهي قد تقضي إلى علاقة الانضواء كما هو الحال في حديثنا عن هذه العلاقة. وقد تقضي إلى علاقة التناظر كما سنبين ذلك في الفقرة الموالية.

¹³ ننبيه إلى أن علاقة الانضواء هي علاقة بين وحدات معجمية مستقلة. وإذا كانت العلاقة بين المعنى الحقيقي للمفردة الواحدة وأحد معانيها المجازية علاقة كل بجزء سميت علاقة كلية (holonymie) كما في الآية: يضعون أصابعهم في آذانهم" والمقصود أناملهم، وعكسها علاقة الجزئية (méronymie) كأن تقول: "أرسلت عينا" وأنت تعني جاسوسا. فكأن علاقتي الكلية والجزئية مخصوصتان بالعلاقات المجازية في صلب الوحدة المعجمية الواحدة لتكون علاقتنا الانضواء والانتماء خاصتين بالمعاني الحقيقية لمفردات متعددة.

¹⁴ يذكر لاينز. المصطلح "incompatibilité" عوض "dissonance".

¹⁵ ينظر: الجرجاني، التعريفات، ص 61؛ معجم المعاني الجامع (معجم إلكتروني)، مادة (نفر).

¹⁶ ينظر: كلنتن، هيفاء عبد الرحمان: نظرية الحقول الدلالية، ص 43.



¹⁷ Lyons: Linguistique générale, p.350 ينظر:

¹⁸ نجد في البحوث المعجمية دراسات متعددة تحدث فيها أصحابها عما يتفرّع عن العلاقات المعجمية الأساسية. من ذلك عبد الفتاح بدوي: الأضداد، دائرة المعارف الإسلامية (مادة: أضداد)؛ Lyons: Semantics, pp.270-286

¹⁹ ينظر مزيداً من التفصيل حول هذه التعريفات: صليباً، جميل: المعجم الفلسفي، 1/ 87، 291-